الهجرة النبوية 4 - طريق النور

لازلنا نتفيأ ظلال الحدث الأعظم في تاريخ الإسلام الحدث الذي صاغ معالمه سيد البشرية بروحه وجسده، **حدث رحلته** من مكة إلى المدينة مكة التي وقف على أعتابها قائلا : (**والله إنَّكِ لخيرُ أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خَرَجتُ**)

ليعلمنا سيد البشرية : أن الإنسان بفطرته يحب وطنه ويدافع عنه ولكن إذا شعر بالخطر على عقيدته وفقد فيه حريته قدم الدين على الوطن

ثم تحرك النبي وصاحبه نحو الغار أخذا بالأسباب متوكلا على الله مرددا (**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**) أي اجعل لي هيبة أستعلي بها على قوَّة المشركين وسلطان الأرض

معلما الأمة بهذا المفتتح : أن صاحب الدَّعوة يستمدَّ سُلطانه من الله ولا يستظلَّ بحاكمٍ أو ذي جاهٍ لينصره، بل من واجب الداعية أن يجعل السلطان جنديا في ركب الدعوة

يقول الدكتور الصلابي : من يريدوا أن يجعلوا الدعوة من جند السُّلطان وخدمه لن يفلحوا ، لأن الدعوة أعلى من ذوي السُّلطان والجاه

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ المشركين اقتصُّوا أثر رسول الله ، فلمَّا بلغوا **جبل ثور** مرُّوا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت؛ **فقالوا:** لو دخل هاهنا، لم يكن نسج العنكبوت على بابه

والعنكبوت بهذا الفعل تؤكد لنا : **أن الخلق بأسره** جندي من جنود الله كبر حجمه أو صغر ، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيشٍ عرمرم ، فهل نصرة الإسلام أنت بقدراتك وقوتك كما نصره العنكبوت بضعفه

في غار ثور : ظل رسول الله مع أبي بكر الصديق أياما ثلاثة **وكان عبد الله بن أبي بكر** يأتيهما بأخبار قريش ليحدث رسول الله خطة الرحلة مع مستجدات المؤامرة ، **وكان عامر بن فهيرة** راعي غنم الصديق يمر عليهما يسقيهما باللبن ويمحوا

أثار عبدالله بن أبي بكر ، **وفي صباح اليوم الثالث** انطلقا مع ابن أريقط في طريق السَّاحل باتجاه اليمن

أخرج البخاري ومسلم :

أنه لما أحاط المشركون بالغار، قال الصديق :

(لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه؛ لأبصرنا)

فقال له رسول الله: (ما ظنُّك يا أبا بكر! باثنين الله ثالثُهما؟) وهذا الرد المحلى بالثقة المطلقة بالله

سطره الله بقوله **(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** والمعية الربانية تمثلت في أمرين :

الأول : **(فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ)** : أزال الخوف من الصدور وربط على القلوب

الثاني : **(وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)**: أرسل ملائكة مهمتها صرف أنظار المشركين عن باب الغار

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه الآية نزلت أثناء الإعداد لغزوة تبوك ليذكر الله المؤمنين أنه نصر نبيه وحماه في زمن الضعف وهو القادر على نصره في حال القوة ،

فلا يظن أحدا أن الإسلام مرتبط به وبقوته وذكائه ، فنحن جميعا نتعبد الله بنصرة دينه ليكرمنا بنعيم جنانه

أحداث في طريق النور

الحدث الأول : وصف أم معبد

نفذ الزاد فمرَّ رسول الله في مساكن خزاعة على خيمة أم معبد ، فسألها لحماً وتمراً ليشتريه ، فلم يصيب عندها شيئاً ، **فنظر في الخيمة** وقال: «ما هذه الشَّاة يا أمَّ معبد؟!» قالت: خلَّفها الجهْد عن الغنم (لكبر سنها) ، **قال**: «فهل بها من لبن؟» **قالت**: هي أجهد من ذلك. **قال**: «أتأذنين أنْ أحلبها؟» **قالت**: بلى ، فمسح بيده على ضرعها، وسمَّى الله عزَّ وجلَّ، ودعا لها في شاتها، فدرَّت لبنا فدعا بإناءٍ فحلب فيه حتَّى امتلأ ، ثمَّ سقاها حتَّى رَويت، وسقى أصحابه؛ حتَّى رَوَوْا، وشرب آخرهم، ثمَّ ملأ الإناء وتركه لها وارتحل

عاد أبو معبد فرأى اللبن؛ فقال: من أين لك هذا اللَّبن ، فقالت: مرَّ بنا رجلٌ مبارك،

قال: صفيه لي يا أم معبد!

فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلَج الوجه (مليح الوجه لا يمل من النظر إليه)، حسنُ الخلق، لم تَعِبْه نُحلة وقيل ثعلة (ليس له بطنا كبيرا) ولم تُزْر به صَعَلة (حجم رأسه متوسطة لا صغيرة يدقق النظر إليها ولا كبيرة على العين)، وسيمٌ قسيم (جسده مقسم تقسيما لا تجد فيه عيب) أكحل في عينيه دَعَجٌ(كامل السواد والبياض في العين) ،وفي أشفاره وَطفٌ (رموش العين طويلة) وفي صوته صَهَلٌ(أي في صوته بحة جميلة ، كان رخيم الصوت) وفي عنقه سَطَع (مستوي العنق لامع كأنه إبريق فضة) ، وفي لحيته كثاثةٌ (كثيرة الشعر) أزجُّ(حواجبه مقوسة)، أقرن (متقاربة وليست متباعدة) إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلَّم سما وعلاه البهاء(له هيبة) أجمل النَّاس وأبهاهم من بعيدٍ، وأحلاهم وأحسنهم من قريبٍ ، حُلْوُ المنطق، فَصْلٌ لا هذر ولا نزر(يحدد الكلام لا يطيل ولا يقصر ، يبين ويفهم) كأنَّ منطقه خرزات نظمٍ يتحدَّرن (كأن الكلمات درر تخرج من فمه بانتظام) رَبْعٌ(لا طويل ولا قصير) لا تشنأه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصرٍ، غُصْنٌ بين غصنين، فهو أنضر الثَّلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفُودٌ(تهابه لما تراه) محشودٌ (حواليه حشد) لا عابسٌ، ولا مُفنَّدٌ(سوي العقل)

فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش؛ الَّذي ذكر لنا من أمره بمكة ، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

الحدث الثاني : ملاحقة سراقة بن مالك :

وصله خبر أن ركبا يسير جهة الساحل فعلم أنهم أصحاب قريش فانسحب من بين القوم وخرج بفرسه من خلف الخيمة حتى لحق بهم

يقول : كما عند مسلم وأحمد فعَثَرت بي فرسي، فخررتُ عنها، فقمت، فأخرجت من كنانتي أزلام فاستقسمت بها: أضُرُّهم، أم لا؟ فخرج الَّذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام ، حتَّى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفتُ، وأبو بكر

يكثر الالتفات ، فسَاخَتْ يدا فرسي في الأرض؛ حتى خرج منها دخان ، فوقع في نفسي أن أمره سيظهر

فناديتهم بالأمان، فوقفوا وعرضت عليهم الزاد والمتاع (**فلم يأخذا مني شيء ولم يسألاني شيء**) إلا أن قال: أخْفِ عنا وعمي عنا الخبر

فعرض سراقة على رسول الله: كنانة له ملأ بالسهام وغنما وإبل سيمر عليها خذ منها ما شئت؛

فقال له رسول الله «لا حاجة لي فيها»

فقال رسو الله لسراقة كما ذكر ذلك ابن عبد البرِّ، وابن حجر، فيما روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى، وعن الحسن: أنَّ رسول الله قال لسراقة بن مالك: «**كيف بك إذا لبستَ سواري كسرى؟!**» فقال : كسرى بن هرمز ، قال : نعم فصدقه وعادٍ يعمي عنه الخبر،

لا يلقى أحداً إلا ردَّه، قائلا : كفيتم هذه الوجهه

وقفات ثلاث مع هذا الحدث:

الأولى : القلوب بيد الله فلا تيأس من قلب عاص ولا تأمن على قلبك الفتنة

الثانية : الإيمان بالمعجزات الحسِّيَّة :

كنسيج العنكبوت خيوطها على فم الغار

ومسح النبي على ضرع الشاة

تعثر سراقة وغوص أقدام فرسه في الرمال

ووعد النبي لسراقة بلبس سواري كسرى

فعلى الدُّعاة ألا يتنصَّلوا من هذه الخوارق، بل يحدثوا بها ما دامت ثابتة بالسُّنَّة لأنها من دلائل صدق النبوة

الثالثة : كن مصدرا للعطاء عفيف اليد كرسول الله ، ولا تكن عالة على أحد ، فإنَّ الصَّوت الَّذي ينبعث من حنجرةٍ وراءها الخوف من الله، والأمل في رضاه، غير الصَّوت الَّذي ينبعث ليتلقَّى دراهم معدودة، فإذا توقَّفت الدراهم توقف الصَّوت، ولهذا قلَّ التأثير، وبَعُدَ النَّاس عن جادَّة الصَّواب.

الحدث الثالث : الهجرة دعوة لا تتوقف :

فالمسلم الذي تغلغلت الدعوة في قلبه لا يفتر عنها لحظة واحدة مهما كانت الظروف ، قدوته العليا في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في

طريقه هجرته مطاردا مهدور الدم ، لكنه حين رأى ركبا من الناس استوقفهم يدعوهم إلى الله

ذكر الإمام ابن حجر: أن النبي لقي ركبا ما بين السبعين والثمانين بقيادة بريد بن الحصيب الأسلمي ، فاستوقفهم ودعاهم إلى الإسلام ،

فأسلم بريد وأسلم معه سبعين من قومه **وخاض** بريد الأسلمي مع رسول الله ستة عشر غزوة

وفي هذا إشارة : إلى بدء مرحلة اليسر وانفتاح أبواب النصر ، لأن عدد من أسلم في هذه الساعة يساوي نصف من أسلم خلال ثلاثة عشر سنة من الدعوة في مكة

ثم لقي رسول الله في طريقه بالقرب من المدينة لصان من قبيلة أسلم يقال لهما (المهانان) فقصدهما رسول الله وعرض عليهم الإسلام فأسلما وسماهما (المكرمان) وأمرهما أن يقدما عليه إلى المدينة

ليعلمنا سيد البشرية هنا :

أن النفوس سريعة الإقبال إلى الحق ، سريعة التأثر بالخير ، لكنها تحتاج لمن يطرق بابها ، ويحسن تقديم الحق لها بصدق وإخلاص ونفس متجردة من الهوى

إخوة الإيمان :

بعد رحلة شاقة مليئة بالأحداث والعجائب :

وصل رسول الله إلى بني عوف بقباء في يوم الإثنين من شهر ربيع الأول

وكان المسلمون في المدينة منذ سماعهم بخبر هجرته ، في كل يوم يخرجون إلى الحرة صباحا وينتظرونه حتى تردهم حر الشمس

ويوم وصوله رآه يهوديا كان على أطم أي مرتفع فنادى بأعلى صوته (**يا معاشرَ العرب ! هذا جَدُّكم الَّذي تنتظرونَ**) فثار المسلمون لاستقباله

فقام أبو بكر للنَّاس، وجلس رسول الله صامتاً، فكان من لا يعرف النبي يُحَيِّي أبا بكر، حتَّى أصابت الشَّمْسُ رسولَ الله ، أقبل أبو بكر يظلِّلُه بردائه، فعرف النَّاس رسول الله عند ذلك ، فصلى الله وسلم عليك يا سيد المتواضعين

من قباء إلى المدينة

بعد أن لبث رسولُ الله في بني عمرو بن عوف بضعَ

عَشْرَةَ ليلةً، وأُسِّسَ المسجدُ وصلَّى فيه ، قرر النبوية
استكمال رحلته نحو المدينة
وكان يوم وصوله إلى المدينة يوم فرحٍ وابتهاجٍ، لم
ترَ المدينة يوما مثله، ولبس النَّاس أحسن
ملابسهم، كأنَّهم في يوم عيدٍ

ولقد كان حقاً يوم عيدٍ؛ انتقل فيه الإسلام من
ذلك الحيِّز الضَّيِّق في مكة، إلى رحابة الانطلاق
والانتشار في المدينة ومنها إلى سائر بقاع الأرض

يروي أنس رضي الله عنه في حديث الهجرة
الطويل الذي أخرجه البخاري :
« فأقبل رسول الله يسيرُ حتَّى نزل جانب دار أبي
أيوب، **فقال** : أيُّ بيوتِ أهلنا أقرب؟ **فقال أبو أيوب**:
أنا يا نبيَّ الله! هذه داري، وهذا بابي، قال : فانطلِقْ
فهيىءْ لنا مقيلاً....» فاستقر في بيت أبي أيوبٍ
حتَّى بنى مسجده، ومساكنه

بناء الدولة والأسس التي بناء بها دولته نقف معها
في جمعتنا القادمة ونختم بها سلسلة الهجرة